أهمية ارتباط الشرعيين بمرجعياتهم

أهل القرآن نموذجاً



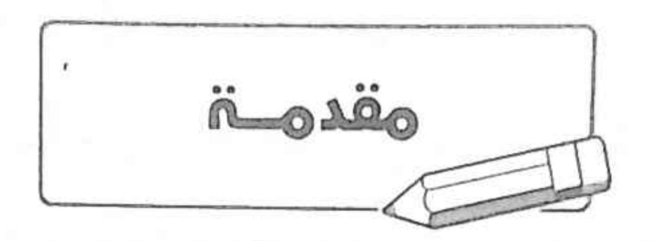
محمد بن موسى الشريف

أهمية ارتباط الشرعيين بمرجعياتهم

أهل القرآن نموذجًا

تأليف

محمد بن موسى الشريف



مقدمة

الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام عـلى سـيدنا محمـد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقـد طلبـت مني «الهيئـة العالميـة لتحفيظ القـرآن الكـريم» كتابـة بحـث عـن «أهميـة ارتبـاط الحفـاظ وخريجـي المعاهـد القرآنيـة بمؤسسـاتهم بصـفة مسـتمرة»؛ وذلـك لإلقائـه في ملتقاهـا العلمـي الخـامس بعنـوان «نحـو مرجعيـة عالميـة لتعلـيم القـرآن الكـريم»، فـأجبتهم لمـا طلبـوه مني عـلى أن يكـون عنـوان البحـث: «أهميـة ارتبـاط الحفـاظ وخريجـي المعاهـد القرآنيـة بمرجعيـاتهم»؛ وذلـك لأن المرجعيـة أعـم مـن المؤسسـة، فقـد تكـون شـيخَه الـذي علّمـه وحفّظه ودرّبه، وقد تكون معهدًا قرآنيًا، وقد تكون غير ذلك.

ثـم إني لمـا أردت طباعـة البحـث هـداني الله -تعـالى- بفضـله ومنّـه إلى تعمـيم المقصـود بـه ليكـون لأهـل القـرآن وغـيرهم، لكنـي لمـا وجـدت أن أمـر الكتـاب يطـول بهـذا عزمـت عـلى أن أبقـي موضـوع الكتـاب محصـورًا على مَـن أُلـف لـه، وأن آتي بـنماذج وأمثلـة

في داخـل الكتـاب تصـلح أن يُخاطـب بهـا طـلاب الشريعـة كافـة، ليكون نافعًا لجميعهم، إن شاء الله تعالى.

هـذا وإن مسـألة ارتبـاط خريجـي كليـات الشريعـة والمعاهـد بمرجعية تحفـظ لهـم علمهـم وحـالهم، وتُبقـي عـلى نفوسـهم صـالحة مستقيمة، هـذه المسـألة مـن أهـم المسـائل التـي ينبغـي العنايـة بهـا لِمـا نـراه اليـوم مـن تفلـت كثـير مـن طـلاب العلـم مـن إسـار الشريعـة والأخـلاق عـلى وجـه عجيـب، ولِمـا نسـمعه مـن بعـض الفتـاوى الشـاذة، والمسـائل العجيبـة، والأقـوال الغريبـة، التـي مـا كـان لهـا أن تظهـر لـو كـان لأهـل العلـم مرجـع يرجعـون إليـه، ويعتمـدون -بعـد الله تعالى- عليه، وركن يأوون إليه.

ولمـا لم يكـن ممكنًـا في هـذا الزمـان الرجـوع إلى مرجـع واحـد، أو مراجـع معـدودة تجمـع إليهـا عشرات ومئـات الآلاف مـن طلبـة العلـم[1]، صـار مـن المهـم أن يبحـث كـل طالـب عـن مرجـع لـه، سـواء كـان ذلـك شـيخه الـذي أخـذ عنـه العلـم، أو كليتـه، أو معهـده، أو غير ذلك، وإن لم يصنع هذا فسيفوته خير كثير، والله أعلم.

وللمرجعيـة أسـباب وصـور وطرائـق، وهـذا كلـه سـآتي عليـه

---

(١) وهذا كحال الرافضة اليوم وغيرهم من طوائف الشيعة؛ فإن من أسرار قوتهم وجودَ مراجعَ معدودة قليلة يرجع إليها مئات الآلاف منهم، وهذا أمر ظاهر معلوم.

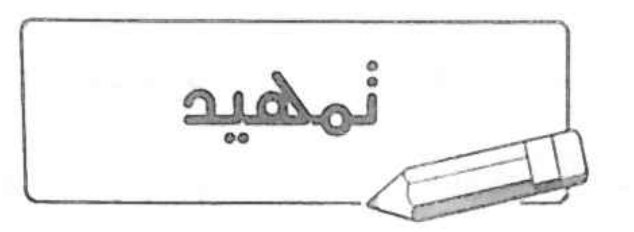
بشيء من التفصيل في هذا البحث، إن شاء الله تعالى، وسأوضح أن المرجعية المقترحة ليست فقط من أجل الضبط العلمي بل هي من وراء ذلك، وأوسع نطاقًا، وأشمل أحوالًا وأوضاعًا، وسأقترح -إن شاء الله- تعالى صورًا متعددة لهذه المرجعية وأمثلة عليها، والله الموفق للصواب.

وهذا مبحث صعب وَعِر؛ إذ لم أقف على مَن ألف فيه، ولا مَن عُني به، وابتداء شيء أصعب بكثير من البناء على عمل سابق.

والله المستعان، وعليه التكلان، وصلِّ اللّٰهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه
العبد المذنب الضعيف
محمد بن موسى الشريف
mmmalshareef@hotmail.com
www.altareekh.com
د. محمد بن موسى الشريف FACEBOOK:
Twitter: DRMOHAMMEDMH

***



تمهيد

إن حافظ القرآن، والدارسَ لعلومه، والواقفَ على معانيه، والضابط لألفاظه، والمستضيء بهديه كل أولئك ذخر للأمة، وكنز لها مرصود، وأمل معقود، لا ينبغي التفريط فيهم، ولا تضييعهم، فالعناية بهم واجبة، والنظر في شئونهم وأقوالهم أمر محتم وفرض كفاية، وعلامة مروءة، في الحال التي كانوا فيها مقبلين على التعلم وراغبين في الطلب، فإن تخرجوا في معاهدهم، وشهد لهم أساتذتهم، أو أجازهم مشايخهم فالعناية بهم أوجب، والنظر في شئونهم وأحوالهم صار أهم وأعظم، لا من حيث المتابعة العلمية فقط بل الأمر أوسع وأشمل كما سأبين بعد، إن شاء الله تعالى.

ولقد كان الأمر فيما مضى على ذلك، جارٍ على الجادة القويمة، فالطالب مهما تخرج بأستاذ أو في مدرسة فإنه يظل وفيًّا لأستاذه أو مدرسته، مرتبطًا بهما، بل إنه يُعرف بهما في كثير من الأحوال، فيقال: فلان الحافظ، أو طالب العلم هو من جماعة الشيخ الفلاني أو العالم الفلاني، أو من مدرسة كذا وكذا، وعلى

هذا جرى أمر السلف والخلف، ومن الأمثلة على ذلك:

١) ما جرى عليه عرف القراء في تسمية طلابهم وطرائق تدريسهم لرواياتهم، فيقال: رواية قالون[١] عن نافع[٢]، ورواية حفص[٣] عن عاصم[٤]، ورواية الدُّوْري[٥] عن أبي عمرو[٦] البصري، وهكذا، فهؤلاء المشايخ الكبار -على عظمتهم واجتهادهم- ظل اسمهم عبر الأجيال مرتبطًا بأساتذتهم ومشايخهم، لا يُذكرون غالبًا إلا ويذكر معهم مشايخهم، وكذلك تلاميذهم فيقال طريق

---

(١) عيسى بن مينا، أبو موسى، الملقب بقالون، قارئ المدينة ونحويها. ولد سنة عشرين ومائة، واختص بشيخه نافع وقرأ عليه طويلًا. توفي سنة عشرين ومائتين رحمه الله تعالى. انظر «غاية النهاية»: ١/٦١٥.

(٢) أبو رُويم نافع بن عبدالرحمن بن أبي نُعيم، مولى، وأصله من أصبهان. قرأ على سبعين من التابعين، وتوفي سنة ١٦٩ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ٢/٣٣٠.

(٣) حفص بن سليمان، أبو عمر الكوفي. كان مشهورًا بالإتقان وجمال الصوت. توفي سنة ١٨٠ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ١/٢٥٤.

(٤) عاصم بن أبي النَّجود بَهْدَلة الأسدي، مولى بني جذيمة. قرأ على بعض التابعين. توفي سنة ١٢٧ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ١/٣٤٦.

(٥) حفص بن عمر. إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه، ونسبته إلى الدُوْر، محلة ببغداد. توفي سنة ٢٤٦ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ١/٢٥٥.

(٦) زَبّان بن العلاء، وقيل إن اسمه كنيته أي أبو عمرو لا غير. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة سنة ١٥٦ رحمه الله تعالى. إليه انتهت الإمامة بالبصرة، وكان من كبار القراء واللغويين. انظر ترجمته في «غاية النهاية»: ١/٢٨٨.

الأصبهاني[١] برواية وَرْش[٢] عن نافع، وطريق أبي نشيط[٣] برواية قالون عن نافع، وهكذا..

٢) كان الطلاب يترددون على مشايخهم ويلازمونهم ولا ينقطعون عنهم -غالبًا- مهما بلغوا من المراتب، ومهما اشتهرت أسماؤهم لا يتركون مشايخهم ولا ينقطعون عنهم حتى الموت، أو الاضطرار للفراق لسفر أو انتقال أو نحو ذلك، فهذا قالون قد قيل له: كم قرأت على نافع؟

قال: ما لا أحصيه كثرة إلا أني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة[٤]!!

وقد قال له نافع: كم تقرأ عليَّ؟ اجلس إلى أسطوانة حتى أُرسل إليك من يقرأ[٥].

---

(١) محمد بن عبدالرحيم، أبوبكر الأسديّ الأصبهانيّ، صاحب رواية ورش عند العراقيين. إمام ضابط، مشهور، ثقة. نزل بغداد. توفي سنة ٢٩٦ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ١٦٩/٢.

(٢) عثمان بن سعيد المصريّ، أبو سعيد، الملقب بورش. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية في زمانه. ولد سنة ١١٠ وتوفي سنة ١٩٧ رحمه الله تعالى. انظر «غاية النهاية»: ٥٠٢/١.

(٣) محمد بن هارون، أبو جعفر الرَبَعيّ. مقرئ جليل، ضابط، مشهور. توفي سنة ٢٥٨ رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ٢٧٢/٢.

(٤) «غاية النهاية» :٦١٥/١.

(٥) المصدر السابق.

وكان الإمام مالك يقول: كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه[١]!!

وكان عبد الله بن وهب[٢] - رحمه الله تعالى - يقول:

خرجت أنا وابن القاسم[٣] بِضْعَ عشرةَ سنة إلى مالك - يعني من مصر إلى المدينة- فسنة أسأل أنا مالكًا وسنة يسأله ابن القاسم[٤].

كان عبدالرحمن بن مهدي[٥] يكون عند سفيان[٦] عشرة أيام وخمسة عشر يومًا بالليل والنهار، فإذا جاءنا ساعة جاء رسول سفيان في أثره يطلبه، فيدعنا ويذهب إليه»[٧]، فهذا

---

(١) «نزهة الفضلاء»: ٤٨٨.

(٢) عبد الله بن وهب بن مسلم، الإمام، شيخ الإسلام، أبو محمد الفِهريّ بالولاء، المصري، الحافظ. مات سنة ١٩٧ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «نزهة الفضلاء»: ٥٤٤.

(٣) عبد الرحمن بن القاسم العُتقي بالولاء، أبو عبدالله. عالم الديار المصرية ومفتيها. توفي سنة ١٩١ رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٩/ ١٢٠-١٢٥.

(٤) المصدر السابق: ٥٤٤.

(٥) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري الأزدي بالولاء البصري اللؤلؤي. ولد سنة ١٣٥. وكان إمامًا حجة قدوة في العلم والعمل. توفي بالبصرة سنة ١٩٨ -رحمه الله تعالى- انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» ٩/ ١٩٢-٢٠٩.

(٦) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، إمام الحفاظ، وسيد العلماء العاملين في زمانه. توفي سنة١٦١ -رحمه الله تعالى- عن أربع وستين سنة. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٧/ ٢٢٩-٢٧٩.

(٧) «نزهة الفضلاء»٢/ ٨١٧، ٨١٨.

حرص عظيم من الطالب والأستاذ معًا رحمهما الله تعالى.

٣) وإذا نظرنا إلى حال عامة طلاب الشريعة مع مشايخهم قديمًا وجدنا الأمر يجري على هذا، فهذه المدارس الفقهية الأربعة: الأحناف والمالكية والشافعية والحنابلة، إذا تخرج فيها الطلاب ظلوا -غالبًا- مرتبطين بها إلى أواخر حياتهم، يُعرفون بها، وينتسبون إليها، وتجري عليهم أوقافها وأرزاقها، ويُعنى بهم مشايخهم، ويؤازرونهم ويعضدونهم، والأمر في هذا مشتهر ظاهر لا يحتاج إلى إيراد أمثلة ولا مزيد إيضاح.

٤) وهناك عدد من المشايخ ظلوا مرتبطين بمشايخهم، إن ذُكر الشيخ ذُكر الطالب، وإن ذكر الطالب ذكر الشيخ، وما حال الإمام ابن القيم[1] مع أستاذه شيخ الإسلام ابن تيمية[2] ببعيد، فقد لازم ابن القيم شيخه ملازمة

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي. ولد سنة ٦٩١، وكان جريء الجَنان، وواسع العلم. غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك. توفي سنة ٧٥١ بدمشق رحمه الله تعالى. انظر: «الدرر الكامنة»: ٤/٢١-٢٣.

(٢) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، يُدعى لجدته تيميّة. أحد أئمة المسلمين المجتهدين. توفي -رحمه الله- سنة ٧٢٨ بدمشق مسجونًا بعد أن خلف علمًا كثيرًا ومصنفات عديدة. انظر «الدرر الكامنة»: ١/١٥٤-١٧٠.

تامة في أغلب أحواله إلى أن مات شيخ الإسلام.

وكذلك الحافظ السخاوي [١] وشيخه الحافظ ابن حجر [٢]، فقد كان تعلق الطالب بالأستاذ وبقاؤه معه شيئًا عجيبًا، حتى إنه وضع له ترجمة حافلة سماها «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» [٣]، وكان ابن حجر يتفرّس في تلميذه السخاوي خيرًا ويخصه بأشياء، وكان السخاوي من أكثر الآخذين عنه، وأعانه على ذلك قرب منزله منه، فكان لا يفوته مما يُقرأ عليه إلا النادر [٤]، وكان الحافظ ابن حجر يعلم شدة حرص تلميذه فيقابل حرصه بحرص أيضًا على تعليمه، «فكان يرسل

(١) الشيخ الإمام الحافظ الرُّحَلة أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاويّ القاهري الشافعيّ، ولد سنة ٨٣١. حفظ القرآن وهو صغير وحفظ عدة متون وعرضها على مشايخ عصره. اختص بشيخ الإسلام ابن حجر، وكان يحبه ويثني عليه. توفي -رحمه الله تعالى- بالمدينة مجاورًا سنة ٩٠٢ وقد خلف مصنفات كثيرة. انظر «النور السافر»: ١٦-٢٠.

(٢) أحمد بن علي بن محمد، الأستاذ، أبو الفضل الكناني العسقلاني المصري الشافعيّ. ويعرف بـ(ابن حجر) وهو لقب لبعض آبائه. ولد سنة ٧٧٣ بمصر العتيقة، ونشأ بها يتيمًا. وحفظ بعض المنظومات، وأخذ على كثير من المشايخ، وجَدّ في الفنون حتى بلغ الغاية. وولي بعض وظائف الدولة من حسبة وقضاء وإمامة. وله العديد من المصنفات النافعة المشهورة. توفي -رحمه الله تعالى- سنة ٨٥٢. انظر «الضوء اللامع»: ٢/٣٦-٤٠.

(٣) وهي مطبوعة متداولة.

(٤) «الضوء اللامع»: ٤/٦.

خلفه أحيانًا بعض خدمه لمنزله يأمره بالمجيء للقراءة»[١].

والأستاذ محمد عبده[٢] وتلميذه رشيد رضا[٣]، فقد تلازما إلى أن مات الأستاذ، ونشر له الشيخ رشيد كتبه، وعُنِيَ بها عناية بالغة، وكان له الفضل في التعريف بكتب الأستاذ.

والأستاذ محمد أحمد الصواف[٤] -رحمه الله تعالى- وشيخه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال التجديد في الإسلام. ولد في إحدى قرى الغربية بمصر سنة ١٢٦٦، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر، ثم تصوَّف وتفلسف، وعمل في التعليم وكتب في الصحف، وتولى تحرير جريدة الوقائع المصرية، وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين. ولما احتل الإنجليز مصر ناوأهم فسُجن ثم نفي سنة ١٢٩٩، وسافر إلى باريس فأنشأ مع أستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة «العروة الوثقى». وعاد إلى بيروت فمصر سنة ١٣٠٦، فتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارًا في محكمة الاستئناف ثم مفتيًا للديار المصرية سنة ١٣١٧ فاستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة ١٣٢٣ رحمه الله تعالى، له عدة مصنفات. انظر «الأعلام»: ٦/ ٢٥٢، ٢٥٣.

(٣) القلموني البغدادي الأصل الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح. ولد سنة ١٢٨٢ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، وتعلم فيها وفي طرابلس. رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، ثم أصدر مجلة المنار لبثّ آرائه الإصلاحية، وأصبح مرجع الفتيا. ارتحل إلى الشام والهند والحجاز وأوربا ثم عاد فاستقر في مصر التي توفي بها سنة ١٣٥٤ رحمه الله تعالى. له عدد من المصنفات النافعة. انظر المصدر السابق: ٦/ ١٢٦.

(٤) داعية إسلامي مناضل. ولد بالموصل سنة ١٣٣٣ وتعلم بها وبالأزهر، وعمل بالتدريس في كلية الشريعة بجامعة بغداد، وشارك في الجهاد ضد الإنجليز. وأسس جمعية إنقاذ فلسطين بالعراق، وجمعية الأخوة الإسلامية، وكان المراقب العام للإخوان المسلمين بالعراق. هرب من العراق إلى الشام بعد ثورة الشيوعيين الذين هاجموا =

الزهاوي[1] -رحمه الله تعالى- وهكذا..

ونحن في هذا الزمان أشد حاجة لمثل هذا الارتباط ودواعيه أقوى، فهذا العصر قد كثر فيه مدعو العلم، وظهر فيه مذاهب غريبة، واتجاهات علمية شاذة، وتقلب الزمان بأهله، ومد الناس فيه أعينهم إلى متاع الحياة الدنيا، وأخلد كثير منهم إلى سِفْساف الأمور ودناياها، ورضوا بالقليل من العمل والجهد، وهذا كله ربما عاد على بعض طلاب العلم بأسوأ العوايد، وأثر فيهم وفي علمهم وعملهم بآثار غير حميدة، فكان لزامًا على المراجع العلمية مراعاة ذلك، والوقوف على ما هنالك، مما ذكرته آنفًا، إن أرادوا ضبطًا للمسيرة العلمية ورعاية للطلاب، وضبطًا لأحوالهم أثناء الدراسة وبعد الفراغ منها.

=مقر مجلة لواء الأخوة الإسلامية التي أنشأها، وحطموا المطبعة وبدَّدوا المكتبة، ومن الشام خرج إلى السعودية التي عمل فيها في مناصب كان أرفعها ما كان مع الملك فيصل رحمه الله تعالى. له عدد من المصنفات. توفي سنة ١٤١٣ رحمه الله تعالى. انظر «ذيل الأعلام»: ٢٠٠-٢٠١.

(١) أحد كبار علماء العراق. ولد في العراق وتعلم فيه، وكان رجلًا ربانيًا ورعًا، ذكيًا، فقيهًا مجتهدًا بارزًا، عمل بدأب طيلة حياته لمصلحة الإسلام والمسلمين، وأسس جمعية إنقاذ فلسطين وعدة جمعيات أخرى للتربية ونشر الثقافة الإسلامية. ارتحل من أجل ما حدث في فلسطين مرارًا على شيخوخته، وكان لسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى. توفي سنة ١٣٨٧ رحمه الله تعالى. انظر «الموسوعة الحركية»: ١/١٣٧، ١٣٨.

حث السلف طلاب العلم على ملازمة المشايخ:

قـد كـان السـلف يحثـون طـلاب العلـم عـلى البقـاء مـع المشـايخ وملازمـتهم، فهـذا أبـو الـدرداء[١] ﷺ يقـول: «مـن فقـه الرجـل ممشـاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم»[٢].

- وقـال أبـو جحيفـة[٣] رحمـه الله تعـالى: «خالـل العلـماء، وخـالط الحكـماء»[٤].

وهـذا إبـراهيم النَّخَعـيّ[٥] عـلى جلالـة قـدره يقـول: «كنـا نـأتي مسروقًا[٦] فنتعلم من هَدْيه ودَلِّه»[٧].

ومن أسباب البقاء مع المشايخ الحرص على الاستزادة من العلم، فمن كان حريصًا على الاستزادة من العلم قصد المشايخ وبقي معهم

---

(١) عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة، وأحد الذين جمعوا القرآن حفظًا على عهد النبي ﷺ بلا خلاف. ولي قضاء دمشق، وكان من العلماء الحكماء. توفي سنة ٣٢ ﷺ. انظر «غاية النهاية»: ١/٦٠٦، ٦٠٧.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله»: ١٦٨.

(٣) وهب بن عبدالله، أبو جحيفة السُّوائي، ويقال له: وهب الخير. أدرك زمن النبي ﷺ لكنه لم يكن قد بلغ الحلم. كان على شرطة علي ﷺواستعمله على خمس المتاع. مات سنة ٧٤ -رحمه الله تعالى- انظر «تهذيب التهذيب»: ١١/١٤٥.

(٤) «جامع بيان العلم وفضله»: ١٦٨.

(٥) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمران الكوفي، الفقيه، ثقة، مات سنة ٩٦ عن خمسين سنة، رحمه الله تعالى. انظر «التقريب»: ٩٥.

(٦) مسروق بن الأجدع بن مالك الهَمْداني الوادعي، أبو عائشة، الكوفي. ثقة، فقيه، عابد، مخضرم، مات سنة ٦٢هـ، رحمه الله. انظر: «التقريب» ٥٢٨.

(٧) «جامع بيان العلم وفضله»: ١٦٨.

فلم يفارقهم ويقطع صلته بهم، قال الإمام مالك رحمه الله تعالى:

«لا ينبغي لأحد يكون عنده العلم أن يترك التعلم»[١].

وقيل لابن المبارك[٢]: إلى متى تطلب العلم؟

قال: حتى الممات، إن شاء الله[٣].

وسُئل أبو عمرو بن العلاء: حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟

فقال: ما دام تحسن به الحياة[٤].

وسُئل سفيان بن عيينة[٥]: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟

قال: أعلمهم؛ لأن الخطأ منه أقبح[٦].

وقال ابن أبي غسان[٧]:

---

(١) المصدر السابق: ١٢٥.

(٢) عبدالله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة. ثقة ثبت، فقيه عالم، جواد، مجاهد، جمعت فيه خصال الخير. مات سنة ١٨١ وله ٦٣ سنة، رحمه الله تعالى. انظر «التقريب»: ٢٦٠.

(٣) «جامع بيان العلم وفضله»: ١٢٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ، فقيه إمام، حجة، توفي سنة ١٩٨، وله إحدى وتسعون سنة رحمه الله تعالى. انظر «التقريب»: ٢٤٥.

(٦) «جامع بيان العلم وفضله»: ١٢٧.

(٧) لم أهتدِ إلى اسمه.

لا تزال عالمًا ما كنتَ متعلمًا، فإذا استغنيت كنت جاهلًا[١].

وقال علي رضي الله عنه:

تزاوروا وتذاكروا الحديث فإنكم إلا تفعلوا يَدْرس علمكم[٢].

***

(١) المصدر السابق: ١٢٨.

(٢) المصدر السابق: ١٣٤، ومعنى يدرس أي يتقادم عهده حتى يذهب من الصدور.

المبحث الأول

الدواعي للمرجعية

هناك دواعٍ متعددة لهذه المرجعية المقترحة، منها:

الداعي الأول: الضبط العلمي:

إن الطالب حال تلقيه لعلوم القرآن المتنوعة، أو أثناء قراءته على الشيخ لإجازة[1] أو غيرها، إن الطالب آنذاك يكون في رعاية علمية جيدة -غالبًا- وفي صيانة وضبط يختلفان من مدرسة إلى أخرى ومن شيخ إلى آخر، لكن هناك حد أدنى من هذه الصيانة والانضباط متوافران في أي مرجعية علمية -غالبًا- فإذا شُهد له بعد فراغه من الدراسة، أو أجيز من شيخه فإنه يخرج إلى معترك الحياة اللاحب، ويُترك لما هُيئ له وأُعد من أجله، فمثل هذا الطالب لا يخلو من حالين:

إما أن يكون ضابطًا لعلمه حريصًا عليه متميزًا فيه.

وإما أن يكون متوسط الضبط أو ضعيفه، أو حائزًا على الحد الأدنى -في حال الإجازة-.

---

(١) الإجازة تطلق ويراد بها معانٍ متعددة، فمن معانيها الإذن بالإفتاء أو التدريس لمن هو أهل لذلك في تقدير المجيز وهو الشيخ، ومن معانيها الإذن بإقراء القرآن ورواية الحديث بالسند، ولها أقسام عديدة وضوابط، انظر كل ذلك في «الموسوعة الفقهية»: ١/٣٠٣-٣١١.

والإجازة تتضمن الشهادة بالأهلية للطالب المجاز، وأنه قادر على التدريس وإجازة غيره، والله أعلم.

أما الأول: فهو جدير بأن يسير على هدى، وإن أشكل عليه شيء رجع لمشايخه فسأل عما أشكل عليه أو انبهم.

وأما الآخر: فهو المفتقر للرعاية العلمية، والمتابعة حينًا بعد حين، وذلك لأن قدراته متوسطة أو ضعيفة، أو أنه كان غير معتن بدراسته ولا بملتفت لها كما ينبغي زمن الطلب، فأمثال هؤلاء في أمس الحاجة لمرجعية علمية يرجعون إليها ويستمسكون بها إلى أن ينضج علمهم ويشتد ساعدهم.

هذا وقد رأيت جماعة من حفاظ القرآن المجازين برواية أو أكثر قد انقطعوا عن العلم مدة طويلة، ولم تعد لهم صلة علمية بمشايخهم الذين أجازوهم، فأصابهم شيء من الضعف حتى ظهر على قراءتهم وضبطهم، وأكثر هؤلاء الذين ضعفوا لم يكن لهم شيء من العناية بالتدريس، ولم يتولَّ أكثرهم مناصب الإمامة والتحفيظ والتصدي لإجازة الطلاب ليحافظوا على ضبطهم، فلذلك كانت الحاجة ماسة عند هؤلاء إلى مرجعية تضبط علومهم، وتكمل نقصهم، وتحيطهم بعنايتها.

هذا وقد كان في جدة قديمًا -منذ سنة ١٤٠٢/١٩٨٢- مجلس أسبوعي للقراء، عقده الشيخ أيمن سويد، حفظه الله تعالى، وكان يُلزم الطلاب الذين يقرءون عليه لتحصيل الإجازة بالحضور لهذا المجلس، ومَن تخرج على يديه من الطلاب وأجازه

يُلزمه بالحضور -أيضًا- فكنا حوالي عشرين طالبًا وأقلّ وأكثر، فيُعقد المجلس قرابة ساعتين، فيفتتح الشيخ المجلس بالدعاء، ثم يقرأ الطلاب تباعًا في كتب اختارها هو، وأتذكر منها الآن كتاب «تعليم المتعلم طرق التعلم» لبرهان الدين الزرنوجيّ[١] و«التبيان في آداب حامل القرآن» للإمام النووي[٢]، رحمه الله تعالى، وغيرهما، ويشرح الشيخ ما يحتاج إلى شرح، فيمهد للطالب طرائق الطلب مع التزام الأدب، وبعد ذلك يقرأ الطلاب القرآن تباعًا؛ يقرأ كل طالب صفحة من القرآن غيبًا، ومَن بعده يتلوه بالصفحة التي بعدها، وهكذا...

والشيخ في كل ذلك يصحح ويُقَوِّم، مع وعظ الطلاب إن قرأ الطالب موضعًا صالحًا للوعظ، أو تنبيههم على بعض معاني ما يقرءون، وربط بعض الآيات بوقائع كانت تجري في حياة الناس آنذاك، كل ذلك مع المراعاة التامة للأدب مع الشيخ

---

(١) المتوفى عام ٥٩١ هـ، وهو أحد فقهاء الحنفية، وتتلمذ على يد المرغيناني الحنفي صاحب كتاب الهداية، وهو من بلدة تسمى زرنوج وهي من بلاد الترك وراء أوزجند، وهي من بلاد أوزبكستان اليوم. اشتهر بكتابه المسمى: «تعليم المتعلم طريق التعلم»، انظر «معجم المؤلفين»: ٣/ ٤٣، و«كشف الظنون»: ١/ ٤٢٥.

(٢) مفتي الأمة، شيخ الإسلام يحيى بن شرف بن مُرِّي، محيي الدين أبو زكريا النووي، الحافظ الفقيه الشافعي، الزاهد. ولد سنة ٦٣١ بـ(نوى) إحدى قرى حوران ببلاد الشام، وقدم إلى دمشق واجتهد في طلب العلم والتعبُّد، وألّف مصنفات نافعة جدًّا. توفي بـ(نوى) سنة ٦٧٦ رحمه الله تعالى. انظر «الوافي بالوفيات» ٤/ ٢٦٤-٢٦٨.

والطلاب، والاحترامُ للقرآن جارٍ على أحسن السنن والطرائق، هذا كله والطلاب مصغون منتبهون، غضةٌ أعمارهم، قليلة معارفهم، لكنْ حسنٌ إقبالهم، ذوو أدبٍ وطرائقَ حميدةٍ في الجملة، فلا تسأل عن حسن أثر هذا المجلس في الطلاب، ولا عن الفوائد التي جنيناها آنذاك وقد كنا بين فتيان وشباب، أعمارنا ما بين السابعة عشرة إلى الثانية والعشرين تقريبًا.

والمقصود من ذكر هذا المجلس هو التنبيه على طريقة جميلة سُلكت من قبل في ضبط الطلاب قبل الإجازة وبعدها، وفي بقاء المرجعية العلمية رقيبة عليهم.

وظل هذا المجلس منعقدًا سنوات جميلات بعد ذلك حتى فرقتنا يد الزمان، وشتتنا اختلاف المَلَوان: الليل والنهار، وإن آس على شيء فإني آسى على مثل تلك المجالس، وإن حثثت على عمل شيء فإني أحث على بدئها من جديد، والسير على طريقتها والنسج على منوالها، والله المستعان.

ـ ومن الدواعي العلمية المهمة للمرجعية الاصطفاء لمواصلة الدراسات العليا الشرعية؛ فإن هناك طلابًا متميزين هم أهل لإكمال مسيرتهم العلمية بعد تخرجهم حتى يحوزوا أعلى الشهادات العلمية، وهم بحاجة لرعاية مرجعياتهم وتشجيع مشايخهم ودفعهم إياهم.

- والمرجعية العلمية والالتزام بها أمر باعث على مزيد من الاطمئنان على سلامة علم الطالب، وصلته بمشايخه وتقويمهم المستمر له.

- وهناك طرائق للتدريس استجدت، ووسائل للتعليم ظهرت لم تكن معروفة من قبل، بحيث صار لزامًا على الطالب المتخرج قديمًا أن يطلع عليها، وأن يجدد العهد بالدراسة ليتأهل بها وليتعامل معها، فإن لم تكن له صلة ما بمرجعيته العلمية فكيف سيحوز على هذه المعارف الجديدة ويتأهل بهذه الوسائل الحديثة؟

- وهناك بحوث ودراسات فيها مراجعات وآراء واقتراحات لا بد لطالب العلم من الوقوف عليها، ولما كان أكثر طلاب زماننا لا يقرءون بعد تخرجهم، ولا يطلعون على جديد العلم إلا قليلًا فقط صار لزامًا ارتباطهم بمرجعياتهم على وجه يتيح لهم الوقوف على ما ذكرت، والاستفادة منه.

الداعي الثاني: التدريب:

إن آفة كثير من المتخرجين في العلوم الشرعية والدراسات القرآنية أنهم ينطلقون بعد تخرجهم لتسلم المناصب وهم لم يتدربوا عليها تدريبًا كافيًا؛ فهذا حافظ مُجيد ذو صوت حسن

يُعيّن إمامًا في مسجد ضخم، وهو لم يتدرب على الإمامة تدربًا يتيح له نفع الناس والتصدي لهمومهم، ولا يعرف كيف يجيب عن أسئلتهم الشرعية ولا كيف يحل مشكلاتهم الاجتماعية، ولا كيف يجمع قلوبهم وينفي عنهم الخصام والعداوة، إنما عُين في جامع ضخم بسبب جمال صوته فقط لا غير.

وبعض الأئمة ينصرف عن الناس ويعتزلهم بسبب قلة معرفته، وضحالة خبرته وتجربته.

وذاك حافظ آخر يعين مسئولًا عن حلقة تحفيظ للقرآن وهو لا يعرف كيف يُحفِّظ الطلاب، ولا كيف يُعنى بهم ويربيهم ليتدبروا القرآن ويستفيدوا من حفظهم له.

وذلك ثالث يعين معيدًا ليُدَرِّس القرآن وعلومه وهو لم يدرّس قط لأحد من قبل، ولا يدري طرق التدريس عمليًّا، ولربما درسها نظريًّا فقط، أو تدرب في حصتين أو ثلاث تدربًا لا يكاد يغني شيئًا، وأكثر هؤلاء الذين ذكرتهم يتدربون أثناء توليهم مناصبهم ووظائفهم فيخطئون ويصيبون، ويكون خطؤهم -غالبًا- أكثر من صوابهم في بداياتهم؛ لذلك لا بد أن يصاحَب هؤلاء في تلك البدايات، وهذا أبو موسى الأشعري ﵁ على علمه الوافر وفضله الكبير يتعهده الفاروق الأعظم عمر ابن الخطاب ﵁، بعد أن عينه قاضيًا فلا يتركه وحيدًا فريدًا إنما

يعينه ويسدده، فيرسل إليه قائلًا:

«...آس الناس في مجلسك، وفي وجهك وقضائك حتى لا يطمع شريف في حَيْفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك.

البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا أحلّ حرامًا أو حرّم حلالًا..

ومن ادَّعى حقًّا غائبًا أو بينة فاضرب له أمدًا ينتهي إليه، فإن بيّنه أعطيته بحقه، وإن أعجزه ذلك استحللت عليه القضية، فإن ذلك هو أبلغ في العذر وأجلى للعَماء.

ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يُبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجربًا عليه شهادة الزور أو مجلودًا في حد، أو ظنينًا في ولاء أو قرابة؛ فإن الله -تعالى- تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والأيمان.

ثم الفهمَ الفهمَ فيما أدلى إليك مما ورد عليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثم قايس الأمور عند ذلك.

واعـرف الأمثـال[1] ثـم اعمـد فـيما تـرى إلى أحبهـا إلى الله وأشبهها بالحق.

وإيـاك والغضـب والقلـق والضـجر والتـأذي بالنـاس والتنكـر عنـد الخصـومة... فـإن القضـاء في مـواطن الحـق مما يوجـب الله بـه الأجر...»[2].

- وأهـل القـرآن الـذين ذكـرتهم ليسـوا بِدْعًا مـن النـاس في مسـألة التـدريب هـذه، بـل أكثـر خريجي كليات الشريعـة والإعـلام وسـائر العلـوم الأدبيـة والإنسـانية، وأهـل العمـل الخـيري والإغـاثي والتربـوي عـلى تلـك الشـاكلة، وأكثـرهم يعـانون مـن هـذا الأمـر، وهـذا هـو -عـلى الحقيقـة- سر الإخفـاق الـذي يصـيب كثـيرًا مـن الأعمال الإسلامية والإعلامية وغيرها.

ولـو كـان هنـاك مرجعيـة تشرف عـلى هـؤلاء الأئمـة والمتخـرجين في كليـات القـرآن الكـريم، وتـدربهم، وتراجـع طرائـق أعمالهـم، وتنـبههم إذا أخطئـوا، وتثنـي علـيهم وتشـجعهم إذا أصـابوا، لـو كـان هنـاك مرجعيـة كهـذه لكـان لهـا أعظـم الفائـدة في هذا الباب.

---

(١) أي: المتماثلات.

(٢) «إعلام الموقعين»: ١/ ٨٥، ٨٦.

وهـذا رسـولنا الأعظـم ﷺ يدربـه جبريـل عليه السلام عـلى كيفيـة قـراءة القـرآن وتجويـده كـل عـام في رمضـان فيقـرأ عليـه القـرآن، ويقـرأ النبـي ﷺ عليـه القـرآن أيضًـا، وهـذا غايـة في الضـبط والتقـويم والتأكـد مـن سـلامة الحفـظ والقـراءة، وقـد اسـتمر هـذا الأمـر إلى رمضـان الـذي سـبق سـنة وفاتـه ﷺ أي أنـه اسـتمر مـدة طويلـة ممتـدة عـبر أكثـر مـن عشريـن سـنة، وهـذا مضرب مثـل لنـا اليـوم لنـتعلم كيفيـة القيـام عـلى الطـلاب والعنايـة بهـم حتـى بعـد تخرجهم بمدة طويلة.

وقد ابتكر أبو الـدرداء رضي الله عنه طريقة لتعليم القرآن والتدريب على تعليمه، فقد كان إذا صلى الفجر اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريف، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع على عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك.

وكـان عـدة مـن يقـرأ في المسـجد ألفًـا وسـتمائة ونيفًـا، فـإذا أحكم واحد منهم القراءة ترك عريفَه وقرأ على أبي الدرداء.

وفي رواية أن أحد طلاب أبي الدرداء قال:

قال لي أبو الدرداء: اعدد من يقرأ عندي القرآن، فعددتهم ألفًا وستمائة ونيفًا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، أبو الدرداء يكون عليهم

قائمًا، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء ﷺ[١].

ومن الجدير بالذكر في هذا الباب ما جاء عن الإمام النووي -رحمه الله تعالى- مدربًا على كيفية البكاء عند قراءة القرآن فيقول:

«وطريقة تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود، ثم يفكر في تقصيره فيها، فإن لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك فإنه من المصائب»[٢].

الداعي الثالث: الضبط النفسي:

وذلك لأن الطالب بعد تخرجه تحيط به جملة أمور نفسية هو بحاجة بسببها للرجوع لشيخه أو لمعهده للتخلص منها، فمن ذلك:

١- القلق والخوف:

وهذا أمر طبيعي يصيب كثيرًا من الطلاب بعد تخرجهم أو إجازتهم، فيقلقون ويضطربون عند مباشرتهم تدريسَ الطلاب، أو يخافون من الإخفاق أو عدم الضبط، فلذلك يحسن بالطالب أن يعود لشيخه حينًا بعد حين، وأن يعرض عليه طريقته في التدريس، وربما احتاج أن يذهب بطالبه معه إلى شيخه ليعرض عليه قراءة طالبه فيقوِّم ويصحح ما عسى أن يكون في قراءته من

(١) «غاية النهاية في طبقات القراء»: ١/٦٠٦، ٦٠٧.
(٢) «المجموع شرح المهذب»: ٢/١٧٩.

اختلال أو نقص، وهذه طريقة حسنة مجربة، عُرفت فائدتها، ووضحت أهميتها.

وهذا هو الذي رَغَّب به الشيخ الدكتور أيمن سويد -حفظه الله تعالى- طلابه الذين أجازهم، وهو ألا يجيزوا أحدًا إلا بعد أن يسمع هو قراءته، ويطمئن إلى جودتها، ويصحح له ما أخطأ فيه منها، ولا يكتفي بذلك حتى يحكم على الطالب بأنه أهل للإجازة أو أنه لا بد من المدِّ له في الوقت والعناية به أكثر في بعض المواضع المخصوصة التي يعينها لأستاذه، وربما عاد إليه مرة أخرى الأستاذ والطالب ليرى الشيخ أثر نصائحه على الطالب، وفي الإجازة يحضر الاثنان عند الشيخ ليجيز الأستاذ طالبه بحضور شيخه، وهذا من كمال المراقبة وحسن القيام على الأساتذة الجدد.

- وكم جاءني من طالب متخرج في كلية الشريعة، أو في الدراسات العليا وهو لا يستطيع أن يخطب الجمعة لخوفه وقلقه!! أو أنه لا يستطيع أن يلقي موعظة في مسجد، وهذا أمرٌ واقع بكثرة، فأَدله على طرائقَ لنزع الخوف، وأشجعه على تجاوز القلق والتهيب.

وأظن -والله تعالى أعلم- أن أكثر المتخرجين في الكليات الشرعية والقرآنية يعانون من هذا الأمر؛ أمر قلة التدريب وضعفه، لذلك وجب الأخذ بيدهم عن طريق مرجعياتهم حتى يستطيعوا المشاركة القوية في المجتمعات، وهذا يفسر وجود

عشرات الملايين من خريجي الكليات والمعاهد الشرعية والقرآنية في العالم الإسلامي لكن أثرهم في مجتمعاتهم -في مجموعهم- ضعيف للغاية.

٢- الغرور والكبر:

وهذان مرضان قد يطرآن على الطالب بعد تخرجه أو قد يكونان خلقين ثابتين فيه قد نشأ عليهما، فأما إن كانا ثابتين متأصلين في نفس الطالب فإن العهدة على شيخه الذي أجازه أو المعهد الذي تخرج فيه، فإنه كان ينبغي علاج ذلك قبل التخرج.

وأما إن طرآ على الطالب فهذا بحاجة ماسة للمرجعية حتى تُطامن من غروره، وتحد من تكبره؛ وذلك لأن المرجعية أقدر من غيرها على إصلاح ذلك وتذكير الطالب بالله -تعالى- وبأيام الطلب حتى يستقيم على الجادة، ويترك ما طرأ عليه واعتوره وأصابه من مرض؛ وذلك أن المرء مفطور على عدم تقبل النصح من سائر الناس خاصة من زملائه وأقرانه والمحيطين به، لكنه يضطر للقبول من شيخه الذي علّمه، أو من القائمين على معهده أو كليته التي تخرج فيها:

«لماذا يكون ثقيلًا قيام شخص بمحاسبة شخص آخر ومساءلته ومناقشته في عيوبه أو هفواته، وبالخصوص إذا كان الشخص مساويًا للشخص في المكانة الاجتماعية، أو بخصوصية

أكبر إذا كان الناصح أو الناقد أو المناقش شخصًا أقل من الآخر في قليل أو كثير.

كم من أخوة ذابت، وصداقات تهاوت، وزمالة انتكست لأن الأخ أو الصديق أو الزميل حاول ألا ينتظر أو يمارس الحيادية الفارغة أو المجاملة عند صدور خطأ من الشخص بل ناقشه فيه فورًا...»[١].

وقال عمر مولى غفرة[٢]:

«لا يزال العالم عالـمًا ما لم يجسر في الأمور برأيه، ولم يستحى أن يمشيَ إلى مَن هو أعلم منه»[٣].

والمغرور أو المتكبر كلاهما محروم من توجيه المشايخ ونفعهم له، فهذا الخليل بن أحمد[٤] -رحمه الله تعالى- يقول:

---

(١) «الانتحار الذاتي»: ٩٤-٩٦.

(٢) هو عمر بن عبد الله المدني، أبو حفص. أدرك جماعة من الصحابة وروى عن بعضهم وعن جماعة من كبار التابعين. قال الإمام أحمد: «ليس به بأس». توفي سنة ١٤٥ -رحمه الله تعالى- وكان من أهل المدينة. انظر «تهذيب التهذيب»: ٧/ ٤١٤، ٤١٥.

(٣) «جامع بيان العلم وفضله»: ١٦٩.

(٤) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي الفراهيدي، البصري صاحب العربية والعَروض، أحد الأعلام. كان خيرًا متواضعًا ذا زهد وعفاف، يقال: إنه دعا بمكة أن يرزقه الله علمًا لم يسبق إليه، فرجع إلى البصرة وقد فُتح عليه بالعَروض فوضعه، فهو أول من وضعه، وصنف كتاب «العين» في اللغة.
وقال النضر بن شميل: أقام الخليل بن أحمد في خُص بالبصرة ولا يقدر على فلسين، وتلامذته يكسبون بعلمه الأموال، وكان الخليل يحج سنة ويغزو سنة حتى مات سنة ١٧٠ -رحمه الله تعالى- انظر ترجمته في «الأخبار العليات من الوافي بالوفيات»: ٢/ ٦٣٦.

«إذا أخطأ بحضرتك مَن تعلم أنه يأنف من إرشادك فلا ترد عليه خطأه؛ لأنك إذا نبهته على خطئه أسرعت إفادته واكتسبت عداوته»[١].

وقد حذر وهب بن منبه[٢] -رحمه الله تعالى- مما سمّاه طغيان العلم فقال: «إن للعلم طغيانًا كطغيان المال»[٣].

وهذا كان في زمان السلف، فماذا نقول في زماننا هذا؟ فكم اشتكى إليّ أُناس من كِبْر عدد من المشايخ، وغطرستهم، وتعاليهم على الناس، وسوء تعاملهم معهم ولا يوجد من ينصحهم ولا من يؤدبهم، وما أحسن ما ذكره ابن جماعة[٤] -رحمه الله تعالى- في علاج مَن يسيء الأدب من طلبة العلم:

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله»: ١٦٩.

(٢) وهب بن منبه بن كامل، الإمام العلامة، الأخباري القصصي، أبو عبدالله، اليماني الذّماريّ الصنعاني. ولد سنة أربع وثلاثين. روايته قليلة، وإنما غزارة علمه في الإسرائيليات وصحائف أهل الكتاب. وكان ثقة. مات سنة أربع عشرة ومائة. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٤/٥٤٤-٥٥٧.

(٣) «جامع بيان العلم وفضله»: ١٧٠.

(٤) هو الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحمويّ الشافعي. ولد بحماة سنة ٦٣٩، وتفقه ومهر في الفنون، ثم ولي قضاء القدس سنة ٦٨٧، ثم تولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٠ فأحسن السيرة ثم تنقل في المناصب المختلفة من قضاء في الشام وخطابة، وغير ذلك. كان ورعًا حسن الهَدْي، متين الديانة، ذا تعبد وأوراد، متقشفًا، مقتصدًا في مأكله وملبسه ومركبه ومسكنه، حسن التربية من غير عنف ولا تخجيل. توفي سنة ٧٣٣ وقد جاز التسعين بأربع سنين وأشهر. انظر «الدرر الكامنة»: ٣/٣٦٧-٣٦٩.

«على الشيخ أن يُعرِّض بالنهي عن ذلك بحضور مَن صدر منه غير مُعَرِّض به ولا مُعيِّن له، فإن لم ينتهِ نهاه عن ذلك سرًّا، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها، فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهرًا، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال لينزجر هو وغيره، ويتأدب به كل سامع، فإن لم ينتهِ فلا بأس حينئذٍ بطرده والإعراض عنه إلى أن يرجع، ولا سيما إذا خاف على بعض رفقائه وأصحابه من الطلبة موافقته»[١].

وما أحسن ما صنعه الإمام الكبير الشاذَكُونيّ[٢] -رحمه الله تعالى- حينما دخل عليه الحافظ ابن وارة الرازي[٣]، وكان فيه زَهْو وكِبْر وخُيَلاء، «فقعد يُقعِّر في كلامه، فقلت له: من أي بلد أنت؟

قال: من أهل الريّ، ألم يأتِك خبري؟ ألم تسمع بنبئي؟ أنا ذو الرحلتين.

قلت: من روى عن النبي ﷺ «إن من الشعر حكمة»؟

---

(١) «تذكرة السامع»: ٦١.

(٢) العالم الحافظ البارع، أبو أيوب سليمان بن داود بن بشر المِنقريّ البصريّ الشاذكونيّ. توفي سنة ٢٣٤، رحمه الله تعالى، انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٠/٦٧٩-٦٨٤.

(٣) محمد بن مسلم بن عثمان الحافظ الإمام المجود، أبو عبدالله بن وارة الرازيّ، أحد الأعلام. مولده في حدود سنة ١٩٠ وارتحل إلى الآفاق، وكان يُضرب به المثل في الحفظ على تيه فيه، توفي سنة ٢٧٠، رحمه الله تعالى، انظر «سير أعلام النبلاء»: ٣/١٠٤٧-١٠٤٨.

فقال: حدثني بعض أصحابنا.

قلت: من؟

قال: أبو نُعَيم[١] وقَبِيصَة[٢]. قلت: يا غلام، ائتني بالدِّرَّة[٣]، فأتاني بها، فأمرته فضربه بها خمسين.

وقلت: أنتَ تخرج من عندي، وما آمن أن تقول: حدثني بعض غلماننا»[٤].

فالشاذَكُونيّ، -رحمه الله تعالى- لم يرضَ من ابن وارة أن يقول: «حدثني بعض أصحابنا» وابن وارة إمام حافظ، وإنما أراد منه أن يقول: حدثني بعض شيوخنا، أو نحو ذلك!!

فانظر كيف كانوا يعاقبون الأئمة الحفاظ إذا بدر منهم ما يخالف الأدب، يعاقبونهم وهم أئمة، فماذا كانوا يصنعون إذا ابتلوا بمثل ما ابتليت به الأمة في هذا الزمان من أنصاف العلماء الذين يقدحون في أئمة الدنيا قديمًا وحديثًا؟!

---

(١) الفضل بن دُكَيْن عمرو بن حماد التيميّ بالولاء، أبو نعيم المُلائيّ، ثقة ثبت. ولد سنة ١٣٠ وتوفي سنة ٢١٨، رحمه الله تعالى، انظر «التقريب»: ٤٤٦.

(٢) قبيصة بن عقبة بن محمد السُّوائيّ، أبو عامر الكوفي، توفي سنة ٢١٥ رحمه الله تعالى، المصدر السابق: ٤٥٣.

(٣) أي العصا.

(٤) «نزهة الفضلاء»: ٢/٩٣٦.

الداعي الرابع: الجانب المالي:

بعد تخرج الطالب في المعاهد القرآنية، أو إجازته من قِبَل مشايخه فإن هاجسه قد يكون إيجاد مورد مالي ثابت يضمن له -بإذن الله تعالى- حياة كريمة، وتركه بدون متابعة أو رعاية يعرضه للضياع أو للسؤال المذل أو لاستغلال حاجته في غير ما هُيئ له وأُعدّ.

فإن كان له مرجعية يعود إليها فإنها قد تساعده على إيجاد عمل مناسب يسد حاجته ويعينه على نوائب الدهر.

وإنه لمن المشاهد أن كثيرًا من طلبة العلم بعد تخرجهم يعملون في غير ما هيئوا له وأعدوا من أجله، وهذا غالبًا ما يكون بسبب حاجتهم المالية وفقدانهم الوظيفة المناسبة لدراستهم وميولهم، وهذا يضيع الجهود ويهدر الطاقات.

وقد كان جماعات من العلماء يسعون لطلابهم في حصولهم على الوظائف، ويسدون حاجاتهم، ويعينونهم[1].

---

(١) انظر ترجمة ابن الفِركاح الشافعي في «الدرر الكامنة» لابن حجر: ١/٣٤. وترجمة ابن الزملكاني الشافعي في المصدر السابق: ٤/١٥٨-١٥٩. وترجمة الشهاب الناشري الشافعي في «الضوء اللامع» للسخاوي: ١/٢٥٧-٢٥٨. وترجمة بدر الدين الغَزّي في «الكواكب السائرة»: ٣/٣-١٠. فقد وردت إشارات في هذه التراجم تدل على عناية الأستاذ بطلابه وسعيه لهم في حصول الوظائف.

الداعي الخامس: الاستفادة من الطالب نفسه:

فقد يتولى الطالب مناصب مهمة تعود على القرآن وأهله بأحسن العوايد، وقد يصبح صاحبَ علاقات متميزة مع كثير من التجار وذوي المناصب المهمة، فبقاؤه موصولًا بمرجعيته يسهل الاستفادة من علاقاته ومناصبه.

ومثال على ذلك جامعة هارفارد الأمريكية؛ فإن أوقافها تبلغ قرابة خمسة وثلاثين مليار دولار!! وإنما تمكنوا من كسب هذه المبالغ لأن بعض طلابهم المتخرجين صاروا تجارًا أثرياء جدًّا، فأوقفوا أموالًا ضخمة على جامعتهم التي تخرجوا فيها، ولذلك فإن الجامعة تحرص على قبول الأمريكيين أكثر من حرصها على قبول غيرهم لعلمها بأن الأمريكيين باقون في أمريكا -غالبًا- وستستفيد الجامعة منهم، بينما لا تتحقق هذه الاستفادة من الطلاب الأجانب الذين سيعودون إلى بلادهم وتنقطع صلتهم بالجامعة وبأمريكا، وهذا تفكير حسن، وهي من فوائد صلة المرجعية بطلابها.

الداعي السادس: قطع الطريق على من يريد استغلال الطلاب أو إفسادهم:

فإن زماننا هذا مليء بأصحاب الشبهات أو العقائد الفاسدة، ولعل أقرب مثال على هؤلاء -مما له صلة بالبحث-

هو جماعة القرآنيين الضالين الذي صار لهم كيان في أمريكا على يد جماعة من فاسدي العقيدة من الأساتذة والطلاب.

وهناك أيضًا من يريد إفساد طلبة العلم عن طريق بث الشبهات الكثيرة حول كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ فيفسدون عقيدتهم، أو يجعلونهم مضطربين مذبذبين، فلو كان لطلاب العلم مرجعيات علمية يتصلون بها فتحفظهم وترعاهم لما كان للمفسدين طريق عليهم -غالبًا- ولما استطاعوا جذبهم بالشبهات الفاسدة والأهواء الضالة.

الداعي السابع: الوفاء للشيخ أو للمعهد:

إن الطالب إذا تردد على شيخه بعد فراغه من القراءة عليه، وإذا زار معهده الذي تخرج فيه فإن هذا أمر دالٌّ على وفائه، والوفاء أمر محمود، ودالٌّ على نفسية صالحة وحال حميدة.

وقد يكون الشيخ في ضائقة أو محنة فيجد طالبه بجواره يواسيه ويخفف عنه؛ وإليكم هذه القصة المعبرة عن وفاء عجيب، فهذا عطاء بن أبي سعد الثعلبي الهروي الفُقّاعي تلميذ شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهَرَوي[1]، كان يُضرب به المثل في إرادة شيخ الإسلام

---

(١) شيخ الإسلام، الإمام القدوة، الحافظ الكبير، أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي الأنصاريّ الهرويّ، شيخ خراسان، من ذرية أبي أيوب الأنصاري ﷺ. كان سيفًا مسلولًا على المبتدعة والأمراء الجبابرة، وله صولة وهيبة واستيلاء على النفوس. توفي سنة ٤٨٥ رحمه الله تعالى. انظر «نزهة الفضلاء»: ٩٢٢.

والجد في خدمته، ولما خرج شيخ الإسلام إلى بَلْخ في فتنة جرت سعى تلميذه عطاء ليشفع له عند الوزير الكبير نِظام الملك[1]، ولما أراد الوزير نِظام الملك الخروج إلى الروم للغزو خرج معه عطاء ماشيًا ورفض الركوب وشيخه في المحنة، وكان يخوض الأنهار مع الخيل ويقول: شيخي في المحنة فلا أستريح، وحكى قائلًا: «كنت أعدو في موكب النِّظام فوقعت نعلي فما التفتّ ورميت الأخرى، فأمسك النظام الدابة وقال: أين نعلاك؟

فقلت: وقعت إحداهما فخشيت أن تسبقني إن وقفت.

قال: فلم رميتَ بالأخرى؟ فقلت: لأن شيخي أخبرنا أن النبي ﷺ نهى أن يمشي الرجل في نعل واحدة، فما أردت أن أخالف السنة، فأعجبه، وقال: أكتب -إن شاء الله- حتى يرجع شيخك إلى هَراة[2]».

فما أحسن الوفاء وما أجمله، وأَقْبِح برجل يتعلم من شيخه زمانًا طويلًا، ثم إذا نال مراده منه انقطع عنه فيعود كأنه لا يعرفه، ولم يقرأ عليه!!

---

(١) الوزير الكبير، نظام الملك، قوام الدين، أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطُّوسيّ. عاقل، سائس، خبير، سعيد، متدين، محتشم، عامر المجلس بالقراء والفقهاء. أنشأ المدارس ببغداد ونيسابور وطوس وكانت له فضائل كثيرة جدًّا. توفي سنة ٤٨٥ شهيدًا -إن شاء الله تعالى- بعد أن قتله الباطنية. انظر «نزهة الفضلاء»: ٩٣٩.

(٢) المصدر السابق: ٩٧٩.

وهناك مثالان جليلان يصلحان لعددٍ من الجوانب آنفة الذكر، أولهما ارتباط الشيخ الهيثمي[١] بشيخه العراقي[٢]، فقد:

«صحب الزين العراقيّ وهو بالغ، ولم يفارقه سفرًا وحضرًا حتى مات بحيث حج معه جميع حجاته، ورحل معه سائر رحلاته، ووافقه في جميع مسموعه بمصر والقاهرة والحرمين وبيت المقدس ودمشق وبعلبك وحلب وحماة وطرابلس وغيرها، وربما سمع الزين بقراءته، وهو مكثر سماعًا وشيوخًا، ولم يكن الزين يعتمد في شيء من أموره إلا عليه حتى أنه أرسله مع ولده الوليّ لما ارتحل بنفسه إلى دمشق، وزوّجه ابنته خديجة، ورُزِق منها عدة أولاد، وكتب الكثير من تصانيف الشيخ بل قرأ عليه أكثرها، وتخرج به في الحديث بل دربه.

وكان عجبًا في الدين والتقوى والزهد، والإقبال على العلم، والعبادة والأوراد، وخدمة الشيخ، وعدم مخالطة الناس في شيء

(١) هو علي بن أبي بكر بن سليمان، نور الدين، أبو الحسن الهيثمي، الشافعي، الحافظ. ولد سنة ٧٣٥، وتوفي بالقاهرة سنة ٨٠٧ -رحمه الله تعالى-. انظر ترجمته في «الضوء اللامع»: ٥/ ٢٠٠-٢٠٣.

(٢) عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن، زين الدين، أبو الفضل الكردي الأصل، المصريّ، الشافعي، ويعرف بالعراقي. تعلم عدة علوم لكنه نبغ في الحديث ومهر فيه حتى صار من أعلامه وكبار حفاظه. ولد بالقاهرة سنة ٧٢٥. وتوفي بها سنة ٨٠٦، رحمه الله تعالى، انظر ترجمته في المصدر السابق: ٤/ ١٧١-١٧٨.

من الأمور، والمحبة في الحديث وأهله، وحدث بالكثير رفيقًا للزين بل قَلّ أن حدث الزين بشيء إلا وهو معه، وكذلك قَلّ أن حَدّث هو بمفرده، لكنهم بعد وفاة الشيخ أكثروا عنه، ومع ذلك فلم يغير حاله ولا تصدر ولا تمشيخ، ولم يزل على طريقته حتى مات سنة سبع بالقاهرة، رحمه الله وإيانا.

قال شيخنا(١) في معجمه:

وكان خيرًا ساكنًا لينًا سليم الفطرة، شديد الإنكار للمنكر، كثير الاحتمال لشيخنا ولأولاده.

وكان كثير الاستحضار للمتون ويسرع في الجواب بحضرة الشيخ فيُعجب الشيخ ذلك، وقد عاشرتهما مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل، ورأيت من خدمته لشيخنا وتأدبه معه من غير تكلف لذلك ما لم أره لغيره ولا أظن أحدًا يقوى عليه.

وقال في «أنبائه»: إنه صار كثير الاستحضار للمتون جدًّا لكثرة الممارسة، وكان هينًا دينًا خيرًا محبًا في أهل الخير، لا يسأم ولا يضجر من خدمة الشيخ وكتابة الحديث، سليم الفطرة كثير الخير والاحتمال للأذى خصوصًا من جماعة الشيخ.

---

(١) أي ابن حجر، والقائل هو السخاوي، رحمهما الله تعالى.

وقال البرهان الحلبي(١): إنه كان من محاسن القاهرة ومن أهل الخير، غالب نهاره في اشتغال وكتابة، مع ملازمة خدمة الشيخ في أمر وضوئه وثيابه ولا يخاطبه إلا بسيدي حتى كان في أمر خدمته كالعبد»(٢).

وثاني المثالين من بلاد شنقيط، وهو مثالٌ عجيب على خدمة الشيخ، والوفاء له، والارتباط به، وهو الشيخ سِيدِي بن المختار ابن الهَيْب الأبييري ثم الانتشائيّ:

اشتغل في شبابه بالعلوم وبرع فيها بملازمته لحَرَم بن عبدالجليل العلوي، وكان يخدمه خدمة العبد لمولاه، فجازاه الله -تعالى- بذلك حتى إن تلاميذه كانوا لا يدخلون عليه إلا حبوًا على ركبهم إجلالًا له(٣).

وحَدّث من رآه في زمن اشتغاله عليه قال: أرسل حرم المذكور إلى التلاميذ أن يذهب أحدهم إلى المنهل ليسقي البقر؛ فإن العبد القائم بأمره غير موجود، فلم ينتدب لذلك إلا الشيخ سيديّ، فلما أتى بالبقر جعل يقرأ مع التلاميذ على ضوء النار،

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي ثم الحبي، أبو الوفاء، برهان الدين. ولد سنة ٧٥٣ في حلب، وارتحل إلى عدة بلدان منها مصر، له عدة كتب. توفي بحلب سنة ٨٤١، رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ١/ ٦٥.

(٢) «المختار المصون من أعلام القرون»: ١/ ٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) هذا من العجائب، وهو من المبالغة الزائدة في التعظيم.

فأرسل إليهم أيضًا أن يحلب أحدهم البقر، فلم ينتدب لذلك غير الشيخ سيدي، ثم إنه رجع بعد حلب البقر وجعل يقرأ أيضًا، فوافى رسول من حرم أيضًا بأن يُحضر أحدهم قِرى الأضياف النازلين عنده فلم ينتدب كذلك غير الشيخ سيديّ[1].

ثم ارتفع قدر هذا الشيخ ارتفاعًا عجيبًا في بلاد شنقيط، ولعل الله -سبحانه وتعالى- كافأه بخدمة الشيخ، ورعاية مصالحه.

***

(١) «الوسيط في أدباء شنقيط» للأستاذ أحمد الشنقيطي، نقلته من كتاب «المختار المصون من أعلام القرون»: ١٨٨٧/٣. وقد توفي هذا الشيخ سنة ١٢٨٣هـ.



المبحث الثاني

صور مقترحة للمرجعية وطرق الاتصال بها

قد تبين في المبحث السابق أهمية المرجعية في حياة حفَّاظ القرآن وطلاب علوم القرآن خاصة، وطلاب العلم عامة، لكن كيف يمكن تحقيقها في زماننا هذا؟

وهل هي أمر عملي في ضوء المتغيرات السريعة التي يتسم بها هذا الزمان؟

ثم كيف يمكن أن يتصل الطالب المتخرج بمرجعيته أو بشيخه حتى تنضبط مسيرته العلمية ويُتأكد من استمرار أهليته؟

هناك عدة مقترحات وأفكار في هذا الباب أوجزها في الآتي:

١- تعيين مدة -ولتكن سنة مثلاً- بعد التخرج لحيازة الشهادة أو الإجازة:

وهذه المدة المشروطة يُمَكَّن فيها الطالب من التدريس، وينظر بعد ذلك في أهليته لحيازة هذه الشهادة، وهذه طريقة مجربة في طلاب كليات الطب، فالطالب يدرس ست سنوات دراسة نظرية وعملية، حتى إذا فرغ من هذه السنوات الست عُدّ طبيبًا لكنه لا يُمنح الشهادة إلا بعد أن يُجرب سنة في المستشفيات، ثم تصبح شهادته مؤهلة له لممارسة التطبيب بنوع من الاستقلال عن مرجعيته التي تخرج فيها.

وأرى -والله أعلم- أن هذه طريقة ناجحة يمكن أن يُسار على هديها، ويُعمل بها في مجال الدراسات القرآنية عامة والإجازات للحفاظ خاصة، فيظلون سنة بعد فراغهم من الدراسة تحت إشراف مرجعياتهم التي تضع لهم برنامج تدريس يُتأكد به من أهلية الطالب للعطاء.

وماذا يضيرنا لو صنعنا هذا؟ وما المانع منه؟ ولماذا التعجل في دفع الطلاب إلى التدريس غير المقيد بإشراف المرجعيات فيظل كثير من الطلاب يخبطون خبط عشواء؟

وإذا احتج محتج بالراتب وأن الطالب في أمس الحاجة له حتى يخوض غمار الحياة ويتمكن من الزواج وقضاء حاجاته الأخرى يقال: فليتفق على مرتب معين لمدة سنة يكون أقل من مرتب المتخرج بالثلث أو الشطر، فإذا فرغ الطالب من سنته حاز راتبه كاملًا، وهذا أيضًا مجرب في خريجي كليات الطلب، فما الضير في سلوك الطريقة نفسها؟

٢- ربط صلاحية الشهادة أو الإجازة بمدة معينة:

إذا تخرج الطالب ونال شهادته أو إجازته تُربط هذه الشهادة بمدة معينة لا بد بعدها من تجديد صلته بمرجعيته على وجه ما حتى يتجدد قَبول شهادته، وهذا أمر مجرب في طياري شركات الخطوط الجوية في أنحاء العالم؛ فإن أحدهم إذا نال شهادته

وحاز رخصته وصار طيارًا مؤهلًا فإنه يُعقد له كل سنة دورة تدريبية قصيرة لمدة خمسة أيام، وبعد ستة أشهر من هذه الدورة يُجرى له اختبار قصير لمدة سويعات ست أو ثمانٍ في جهاز التدريب وفي الطائرة، فيظل الطيار طوال سني عمله مرتبطًا بمرجعيته يعود إليها كل ستة أشهر تارة متدربًا وأخرى للاختبار والفحص، فهذه طريقة عملية مجربة آتت أكلها وثمارها، واتُّفق عليها في كل شركات الخطوط الجوية في العالم تقريبًا، فما المانع من اقتباس هذه التجربة والعمل بها على وجه ما في شهادات المشتغلين بالدراسات القرآنية وأصحاب الإجازات على وجه الخصوص، وإني أقترح أن يعود الطالب إلى مرجعيته سواء كانت معهدًا أو كلية أو وزارة للتعليم أو شيخه الذي أجازه، وذلك كل ثلاث سنوات ليُعقد له اختبار قصير لمدة ساعتين إلى ثلاث ساعات ليُتأكد من دوام أهليته واستمرار قدرته على العطاء والبذل.

وأرى أن هذا أمر لا بد منه في ضوء حرص الطالب على الشهادة كيفما اتفقت له، وتردي المستوى العلمي لكثير من الطلاب، وجَرْيِ الناس في مضامير هذه الحياة ولُهاثِهم خلف المال والمناصب بحيث لا يعود أكثر الطلاب لمناهجهم بعد تخرجهم ليقرءوها قراءة جادة نافعة، قراءةَ المستعيد المستذكر

المستفيد، ولم يعد لبعضهم صلة بمرجعيته ألبتة بعد مرور سنوات طويلة على تخرجه، وإن زماننا هذا صار زمان تقييد لطلاب العلم بقوة السلطان وأنظمته أكثر بكثير من تقييدهم بقوة الرغبة في تجديد المعارف، والوقوف على مستجدات الطرائق العلمية والوسائل التدريسية.

وإليكم - معشر القراء الكرام - هذا النص الجليل من إجازة أحد المشايخ لطلابه في القراءات السبع من طريق الشاطبية، ويظهر فيها تحديد الشيخ مدة لطالبه الذي أجازه كي يعود إليه ويقرأ، وبعضُ الشروط الأخرى المهمة التي تعضد ما ذكرته آنفًا من أهمية ارتباط الطلاب بمرجعياتهم الشرعية:

«ومن الشرط المأخوذ عليه أن يحضر أمامي في كل سنة يومًا لكي أمتحنه فيما تلقاه عليَّ، فإن وجدته صحيحًا فإجازتي له ثابتة، وإن وجدته قد أهمل فلي الحق في رده للتعليم ثانيًا.

وإذا توقف عن رده للتعليم[1] فتُسلب منه هذه الإجازة ويمنع من القراءة.

وإذا قال إنها فقدت فيحاكم قانونيًّا أمام مشيخة المقارئ المصرية وينشر إيقافه ومنعه من قراءة السبعة على صفحات الجرائد.

(١) أي رفض الرجوع للتعَلُّم والقراءة على شيخه.

ومـن الشرط المـأخوذ عـلي[١] قبـل أن يتسـلم هـذه الإجـازة أن يُمـتحن أمـام أي شـخص كـان، وأكـون أنـا معـه في أثنـاء امتحانـه خيفـة تزييـف الممـتحن ومكـره، وإذا طلـب منـي تسـجيلها أمـام مشـيخة المقـارئ المصريـة أو لجنـة رابطـة القـراء بالإسـكندرية فـأكون الملـزوم بالقيـام معـه لتسـجيلها مـع إخلائـي مـن مصـاريف التصـديق[٢]، ويكـون هـو الملـزوم بـدفعها، فأجزتـه عـلى هـذه الشروط، وبالله التوفيق».

وهـذه إجـازة جليلـة محكمـة جـدًّا، حبـذا لـو عُمِـل بهـا اليـوم، وأُخذ الطلاب بشروطها وضوابطها.

وإليكم معشر القراء صورًا من هذه الإجازة:

(١) هكذا وردت ولعل الصواب: عليه.
(٢) أي الختم.

٣- وضع ترتيبات معينة للتواصل مع الطلاب بعد تخرجهم لضمان حصولهم على وظائف كريمة أو مواصلة دراستهم:

إن من الهواجس في زماننا هذا هو كيف يحصل الطالب على وظيفة كريمة يسد بها حاجته ويستغني بها عن الناس، وإن من أحسن وسائل الاتصال بالمرجعية بعد تخرج الطالب هو ترتيب طرائق معينة لسد حاجة هذا الطالب ورعايته، وأقترح في هذا الباب ما يلي:

أ- توظيف الطالب في مرجعيته؛ كأن يكون معيدًا في الكلية أو المعهد، أو أن يكون مساعدًا لشيخه في أبحاثه ودراساته، أو أن يعهد إليه الشيخ -إن كان ماهرًا مجيدًا- بإجازة الطلاب ومساعدته في هذا الباب.

ب- كفالة الطالب ماليًّا لإكمال دراسته العليا إن كان من أهل التميز والنباهة، ويمكن إيجاد هذه الكفالة بالتنسيق مع التجار، أو عن طريق المنح الجامعية في الدولة نفسها أو الدول الأخرى.

جـ- التنسيق مع الهيئات القرآنية ذوات الطابع البحثي من أجل توظيف الطالب إن كان صالحًا لذلك، أو التنسيق مع

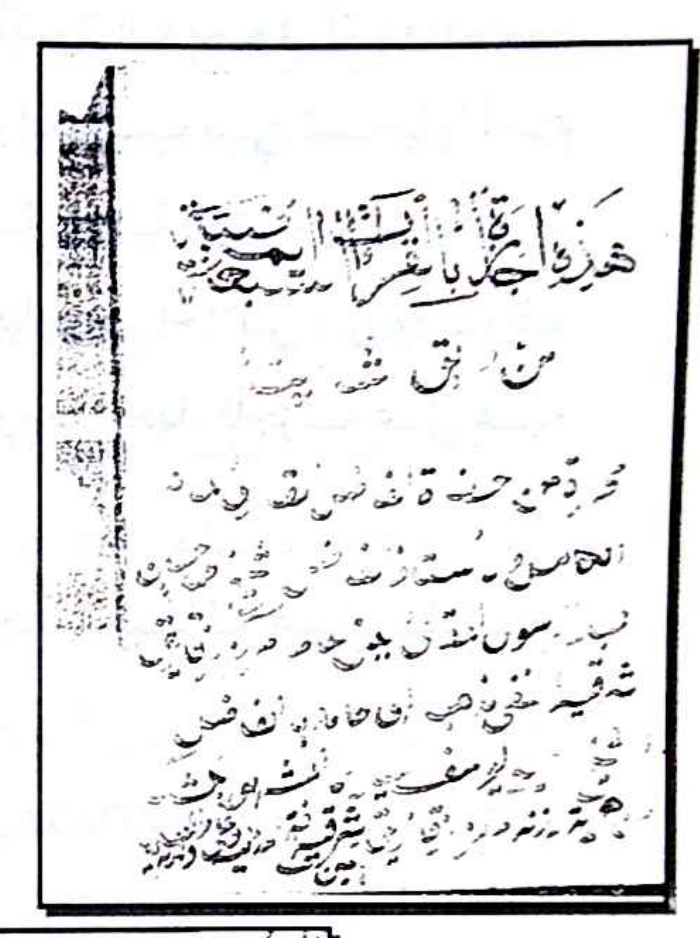
الهيئات ذوات الطابع العلمي مثل التدريس والإشراف على الحلقات لمن يصلح لذلك من الطلاب.

إن رعاية المرجعية للطالب ماليًّا بعد تخرجه، وإغناءه عن سؤال الناس لهو من أهم الوسائل الضامنة لتواصله مع مرجعيته والإبقاء على الصلات العلمية والنفسية معها.

٤- سن قانون عقوبات لمن يشذ من الطلاب عن سنن المرجعيات العلمية:

وذلك لأن زماننا هذا قد كثر فيه ظهور المتغيرات، وبروز الشاذين في أفكارهم وطرائقهم ونهجهم، ولقد رأينا من هؤلاء جملة أنزه هذا البحث عن ذكر أسمائهم وأحوالهم، لكن القاعدة التي تنص على: «إن الله تعالى يَزَع بالسلطان ما لا يَزَع بالقرآن» هي القاعدة الحاكمة لتصرفات وأحوال أكثر الناس، ولا بد من وضع النظم الحادة من ظهور أمثال هؤلاء، وهذه مهمة المرجعيات العلمية، وأقترح في هذا الباب ما يلي:

أ- عند ظهور الشذوذ في الأفكار والخروج عن سنن المشايخ والطرائق العلمية المقبولة يُستدعى الطالب من قبل مرجعيته التي تخرج بها، فهي أقدر من غيرها على التأثير فيه وتذكيره بماضي أيامه، ومحاولة ثنيه عن صنيعه.


هذه اجازة بالقراءات السبع

ومن الشرط المأخوذ عليه أن يحضر أمامي
في كل سنة يوماً لكي أمتحنه فيما تلقاه
علىّ فان وجدته صحيحاً فاجازتي له ثابتة
وان وجدته قد أهمل فلى الحق في رده للتعليم
ثانياً واذا توقف عن رده للتعليم فتسلب منه
هذه الاجازة ويمنع من القراءة واذا قال
أنها فقدت فيحاكم قانونياً أمام مشيخة
المقارئ المصريه وينشر إيقافه ومنعه
من قراءة السبعة على صفحات الجرائد
ومن الشرط المأخوذ على قبل أن يتسلم
هذه الإجازة أن يمتحن أمام أى شخص
كان وأكون أنا معه في أثناء امتحانه
خيفة تزييف الممتحن ومكره واذا طلب
منى تسجيلها أمام مشيخة المقارئ المصرية

أو لجنة رابطة القراء بالاسكندرية فأكون
ملزوم بالقيام معه لتسجيلها مع إخلائي
من مصاريف التصديق ويكون هو
الملزوم بدفعها فأجزته على هذه الشروط
وبالله التوفيق وأخبرته إني تلقيت ذلك
عن شيخي وأستاذي المغفور له الشيخ
أحمد إسماعيل الزرباوي بالزقازيق شرقيه
وقد قرأت عليه من أول القرآن بالقراءات
السبعة إلى أن وصلت إلى قوله تعالى
ومنهم من عاهد الله وأتممت قواعد السبعة
وجمعها حتى كنت عنده في درجة
المنتهى وأخبرني رحمه الله تعالى بأنه
تلقى ذلك أى القراءات العشرة من أول
القرآن إلى سورة الأحقاف على الشيخ
حسن رويحل ثم لما توفي الشيخ حسن

ب- فإن لم يفد هذا، أو لم يكن مناسبًا، أو لم تعد المرجعية قائمة فإنه يعقد له مجلس علمي يناقش فيه وينبه على أخطائه، وقد كان هذا من سنن أسلافنا، فقد كانوا يعقدون المجالس العلمية يراجعون بها المشايخ عند ظهور خلل ما في طرائق بحثهم أو نتائج فكرهم، فمن ذلك المجلس المعقود لابن شَنَبُوْذَ[١] -رحمه الله تعالى- لاستتابته من القراءة بالشاذ، بحضور جماعة من العلماء والقضاة، وبحضور الوزير، واستتيب من ذلك وأُخذ اعترافه، هذا بعد أن ضُرب، ولم تكن الحاجة ماسة لضربه لكنه رفض فضرب، فلو ضُيق عليه لكان أولى من ضربه لكن هكذا قُدِّر له -رحمه الله تعالى[٢]-.

جـ- فإن لم يفد ذلك كله لم يبقَ إلا سن العقوبات الملائمة لإيقاف هذا المتعدي عند حده حتى يرتدع ويعود عن غَيِّه، وهذا ظاهر في عمل أسلافنا، وقد ذكرت ذلك في الجانب السابق، وهذه العقوبات متنوعة تتفاوت بين الإيقاف والجزاء المادي والتشهير به وبصنيعه، وهي كلها من باب العقوبات التعزيرية التي ليس فيها نص محدد.

---

(١) محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ، الإمام أبو الحسن البغدادي، شيخ الإقراء بالعراق. أستاذ كبير، أحد من جال في البلاد في طلب القراءات مع الثقة والخير والصلاح والعلم. كان يرى جواز القراءة بالشاذ. توفي سنة ٣٢٨، رحمه الله تعالى. انظر «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري: ٢/ ٥٢-٥٦.

(٢) انظر ما جرى عليه في المصدر السابق.

وبمثل هذا الصنيع يكون هناك كلمة نافذة للمرجعيات العلمية في الطلاب والمشايخ حتى لا يشطح أحدهم، أو يتجاوز حده ويعدو قَدْرَه دون رقيب ولا حسيب، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: كان شعبة[1] يجيء إلى الرجل -يعني الذي ليس أهلًا للحديث- فيقول: لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان[2].

هذا وإن من المناسب عملَ ما ذكرته سابقًا مع الفئات التالية، وهؤلاء يذكرون على وجه التمثيل لا الحصر:

١) جماعة القرآنيين الضالين، الذين ينادون بالاكتفاء بالقرآن ونبذ السنة النبوية الشريفة، فإن هؤلاء يجب إيقافهم بشتى الوسائل، والتشهير بهم في الناس حتى يحذروا صنيعهم ولا يتأثروا بشرِّهم.

٢) طلاب العلم ومشايخه الذين يأخذون بشذوذ الآراء وبالفتاوى الضعيفة والشاذة ليفتنوا بها الناس، ويُحْدِثوا بها البلبلة في الصف العلمي وربما بين العوام أيضًا.

---

(١) شعبة بن الحجاج بن الوَرْد، الإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، أبو بِسْطام الأزدي العَتَكيّ بالولاء، عالم أهل البصرة وشيخها. كان إمامًا ثبتًا حجة، ناقدًا، وهو أول من جرح وعدّل. وله مناقب كثيرة وأحوال جليلة. توفي -رحمه الله تعالى- سنة ستين ومائة بالبصرة. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٧/ ٢٠٢-٢٢٨.

(٢) المصدر السابق.

٣) القــراء الــذين يقــرءون بمعــزل عــن قواعــد التجويــد أو بإضــاعة بعضــها إيثــارًا لجــذب النــاس لقــراءتهم الخاطئــة وألحانهم الحادثة.

٤) جماعــة مــن المــؤلفين صــنفوا مؤلفـات يجمعهـا مـا يُسـمى بــالقراءة الجديــدة للقــرآن، وعــلى رأس أولئــك مهنــدس ســوري ضــال اســمه مصــطفى شــحرور -فــيما أذكــر- وهــؤلاء ليســوا مــن طلبــة العلــم لكــنهم لمــا كتبــوا في موضــوع ذي صــلة ماســة بــالقرآن العظــيم وجــب عــلى المشايخ التصدي لهم وإيقافهم بكل وسيلة ممكنة.

* * *



خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه هي خاتمة هذا البحث الموجز الذي أردت فيه بيان الأهمية البالغة لارتباط الحفاظ والمجازين وطلاب الدراسات القرآنية -بعد فراغهم وتخرجهم- بمرجعياتهم التي نهلوا منها العلم.

وإنما اخترت هذا البحث لأني أرى أن هناك قصورًا واضحًا جدًّا في هذا الباب، وأن أكثر الطلاب المتخرجين قد انقطعت صلاتهم تمامًا بمرجعياتهم، وأن لهذا آثاره الخطيرة التي لعلي بيَّنت بعضها في هذا البحث.

وهذا البحث الموجز أرجو أن يكون فاتحة خير لدراسة مطولة مبنية على أرقام إحصائية، وأحوال دقيقة مستقاة من دراسات عميقة، وهذا لتضع مثل تلك الدراسةِ المرجوةِ القواعدَ والضوابط الكفيلة -إن شاء الله- بعلاج هذه الظاهرة المنتشرة.

والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه، وصلّ اللّهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

***

المراجع

- القرآن الكريم.

- «الأخبار العليات في الوافي بالوفيات» الوافي للصفدي، و«الأخبار العليات» لمؤلف هذه الرسالة. نشر دار الأندلس الخضراء. جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤٣٢.

- «تهذيب التهذيب»: الحافظ ابن حجر العسقلاني. (ت ٨٥٢). نشر دار الفكر. بيروت. الطبعة الأولى. سنة ١٤٠٤/١٩٨٤.

- «جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله»: الإمام أبو عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي (ت ٤٦٣) مراجعة الأستاذ عبدالرحمن محمود. نشر دار الكتب الحديثة. القاهرة.

- «غاية النهاية في طبقات القراء» للإمام محمد بن الجزري. عناية ج برجستراس. توزيع دار الباز. مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»: حجي خليفة. نشر دار العلوم الحديثة. بيروت.

- «معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية»: عمر رضا كحّالة. نشر دار إحياء التراث العربي. بيروت.

- «الموسوعة الفقهية»: نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. الكويت. الطبعة الثانية ١٤٠٤/١٩٨٣.

- «نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء»: السير للإمام الذهبي، والتهذيب لكاتب هذا البحث. نشر مؤسسة أم القرى. المنصورة. مصر الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

* * *

فهرست الموضوعات

***